دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلّد 46، عدد 1، ملحق 1، 2019

دلالة مادة (ح ر ف) المعجمية في القرآن الكريم

*علیا عبد الرحمن العظم، جهاد محمد النصيرات**

ملخص

تهتم هذه الدراسة بمادة (حرف) في القرآن الكريم، بناء على أنها مادة لغوية متنوعة الدلالات، ومفردة قرآنية جديرة بالبحث في الدلالة اللغوية والسياقية، وتطرح سؤالاً رئيساً:
ما دلالة مادة (حرف) في القرآن الكريم؟
وتهدف إلى تتبع مادة (حرف) وما يقاربها وفق ورودها في القرآن الكريم، وكشف دلالات المادة اللغوية، وبيان الدلالات السياقية في الاستعمال القرآني.
جاءت الدراسة في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة: المبحث الأول تناول دلالة مادة (ح ر ف) المعجمية. والثاني يبيّن دلالة مادة (ح ر ف) في الاستعمال القرآني. بينما تناول المبحث الثالث صيغ المادة في السياق القرآني.
وقد تبين للباحثين أن المفردة جاءت دلالاتها اللغوية في الاستعمال القرآني من حيث صيغها ودلالاتها الصرفية والنحوية والصوتية بما يناسب السياق، وبما لا يمكن استبداله بلفظة أخرى مهما كانت مقاربة.

الكلمات الدالة: مادة (ح ر ف)، دراسة دلالية، سياق.

المقدمة

الحمد لله الذي تفضل علينا بآلائه، ومنَّ علينا بكلامه، وآتانا من الأدوات لفهم مرامه، وتكفل لنا بحفظه على مدى الدهور والأيام، والصلاة والسلام على أشرف خلقه، الذي تلقى وحي ربه، ليوصله إلينا على خير وجه، والسلام على صحابته الكرام وتابعيهم بإحسان الذين حملوا الكتاب، وأحاطوه بأسباب الحفظ والفهم والعناية، ليصل إلينا غضاً طرياً، حياً نابضاً.

وبعد؛ فقد تناولت هذه الدراسة مادة (ح ر ف) في القرآن الكريم، من خلال الوقوف على الدلالات اللغوية للمادة، ثمّ الدلالات السياقية للمادة بصيغها المتنوعة، بغية الوقوف على دقة القرآن في انتقاء اللفظة الملائمة لسياقها العام والخاص، بحيث لا يسدّ غيرها مكانها، ولو بدّلت عن مكانها لذهب الرونق وفسد المعنى.

مشكلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما دلالة مادة (حرف) اللغوية والسياقية في القرآن الكريم؟ وينبثق عنه الأسئلة التالية:

1- ما دلالات مادة (حرف) المعجمية؟
2- ما دلالات (حرف) في الاستعمال القرآني؟
3- ما دلالات صيغ المادة؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة للنقاط التالية:

1- كشف دلالات مادة (حرف) اللغوية.
2- تتبع مادة (حرف) وما يقاربها في الاستعمال القرآني.
3- بيان دلالات صيغ مادة (حرف) المقامية والسياقية في القرآن الكريم.

* كلية الشريعة، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث 2017/7/2، وتاريخ قبوله 2018/6/11.

 © 2019 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أنها تتناول أحد ألفاظ القرآن الكريم بالدراسة الدلالية اللغوية والسياقية لها، بما يكشف عن رافد هام من روافد الإعجاز البياني للقرآن الكريم، مما يرجى منه تحقيق إضافة للدراسات البحثية الدلالية القرآنية، وزيادة في فهم معاني ألفاظ القرآن الكريم ودلالات تراكيبه.

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الاستقرائي في تتبع الدلالة المعجمية للمفردة، وفي تتبع ورودها في الاستعمال القرآني، كما اتبعت المنهج التحليلي في دراسة تقاليب المفردة، وفي دراسة الدلالات الصرفية والنحوية والصوتية، وفي دراسة المفردات المقاربة لها في القرآن، وفي دراسة دلالاتها في السياق القرآني.

الدراسات السابقة:

لم نجد دراسة دلالية على مادة (ح ر ف) في القرآن الكريم حسب محيط الاطلاع، وبالتالي فهذه الدراسة تضيف مادة للدراسات البحثية في الدلالات اللغوية.

أما الدراسات الدلالية على الألفاظ الأخرى التي اطلعنا عليها فهي الآتية:

بحث بعنوان: "مادة (ض، ر، ب) المعجمية ودلالاتها في القرآن الكريم"، للأستاذ الدكتور عبد الله حسن أحمد، وقد أوردت الدراسة المعنى الحقيقي والمجازي، والتركيب الاصطلاحي، الذي يحدد معناه التركيب والسياق، وقد أفادتنا هذه الدراسة في بيان طريقة دراسة الدلالات المعجمية للمادة، بتوسع وشمولية، وطريقة دراسة استعمالاتها القرآنية، وكذلك في طريقة عرض تلك الدلالات وتنسيقها.

وكذلك اطلعنا على دراسة بعنوان: " مادة (ع، ل، م) في القرآن الكريم"، دراسة في صورها البنائية ودلالاتها ومراتبها، للدكتور ليث داود سليمان، وهي منشورة في مجلة آداب ذي قار العدد 2، 2010، حيث اهتمت الدراسة بمواضع وروود الكلمة ومشتقاتها في القرآن الكريم، وبينت دلالاتها اللغوية في سياقاتها المختلفة، وقد انحصرت الفائدة من الدراسة بتوضيح الدلالة الصرفية للمادة في مواضع ورودها.

وأخيراً دراسة بعنوان: " الحكمة دراسة دلالية موضوعية في القرآن الكريم" وهي رسالة ماجستير في التفسير، في الجامعة الأردنية، 2014، إعداد نور عيسى كشكول، إشراف: أ.د جهاد النصيرات، بينت فيها الباحثة أن الاهتمام بمادة الحكمة باعتبارها مادة لغوية متنوعة الدلالات، وباعتبارها مادة قرآنية، حيث عرضت الدلالات اللغوية للفظ الحكمة، وذلك من خلال بيان الدلالات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، ثم عرضت للحكمة اصطلاحاً، ثم ورودها قرآنياً. وقد كانت أهم الفوائد من هذه الدراسة الافادة من المنهج، ثم الافادة من المنهجية.

خطة الدراسة

المقدمة

تمهيد في مفهوم الدلالة وأنواعها

المبحث الأول – دلالة مادة (ح ر ف) المعجمية

المطلب الأول: المعاني المعجمية

المطلب الثاني: تقاليب المادة

المطلب الثالث: التطور الدلالي للمادة

المبحث الثاني – دلالة مادة (ح ر ف) في الاستعمال القرآني

المطلب الأول: صيغ ورود مادة (ح ر ف) في القرآن الكريم

المطلب الثاني: الدلالات الصرفية والنحوية والصوتية للمادة

المطلب الثالث: المفردات المقاربة لها في القرآن

المبحث الثالث – دلالات صيغ مادة (حرف) في السياق القرآني

المطلب الأول: الدلالة السياقية ل (يحرفون – يحرفونه)
المطلب الثاني: الدلالة السياقية ل (متحرفاً)
المطلب الثالث: الدلالة السياقية ل (حرف)
الخاتمة

تمهيد في مفهوم الدلالة وأنواعها

احتل علم الدلالة اللغوية مكانة عالية عند لغويي العرب منذ بداية تأليفهم للمعاجم العربية، ذلك لأن الدلالة هي الهدف والمقصد من تلك المعاجم، وقد ازداد هذا المقصد أهمية لما كان كتاب الله تعالى هو المعني بكشف دلالة ألفاظه وتراكيبه.

مفهوم الدلالة وأنواعها:

يقول ابن فارس في المقاييس: " الدال واللام أصلان، أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطراب في الشيء، فالأول قولهم دللت فلاناً على الطريق، والدليل الأمارة في الشيء وهو بين الدِّلالة والدَّلالة، والأصل الآخر قولهم تدلل الشيء إذا اضطرب... ومن الباب دلال المرأة ".[1]

وقد بين الدكتور بسام بركة في بحثه "اللغة والفكر بين علم النفس وعلم اللسانية" أن الدلالة المقصودة هي الأمارات والعلامات التي توضح المعنى الذي يحيا بين حروف الألفاظ، وبين انه تظهر للألفاظ ظاهرتان متلازمتان تتمم إحداها الأخرى:

الظاهرة الأولى: ظاهرة حسية، باعتبار الألفاظ أصواتاً تنطلق بها الأوتار الصوتية من داخل الجهاز الصوتي، ابتداءً من أقصى الحلق وانتهاءً بانطباق الشفتين لتتصل بالأسماع، وتصل إلى الآذان.

الظاهرة الثانية: ظاهرة معنوية، باعتبار الألفاظ رموزاً تشتمل على أصواتها لدى انطباقها على مسمياتها.

وتأسيساً على هذه الرؤية يتحقق لنا لمس إطارين حيّين للألفاظ بعامة:

إطار خارجي، يتمثل بالصوت اللساني لكل لفظ، وإطار داخلي يحمل لنا الصورة الذهنية لذلك الصوت. والإطار الخارجي، وهو الظاهرة الحسية، يمثل الشكل، والإطار الداخلي، وهو الظاهرة المعنوية، يمثل المضمون.

ولتنظير هذا الفهم يتبين أن دلالة أي لفظ من الألفاظ على معناه المحدد له، ترتبط فيما يوحيه هذا اللفظ في الأذهان من انصراف وتبادر إلى مشخصاته الخارجية إن كان عيناً، أو ما يرمز إليه في التصور الذهني إن كان معنىً، بحيث يكسبه هذا وذاك دلالته عند التطبيق الخارجي الذي لا يلتبس بمفهوم آخر في الإدراك حتى يعود رمزاً له، أو علاقة تشير إليه، وفي هذا الضوء تشترك الرموز الصوتية لأي لفظ في الدلالة عليه لتشكل أصلاً في كيانه بتصوره دفعة واحدة سواء أكان الاستعمال على جهة الحقيقة اللغوية، أم على جهة الاستعمال المجازي إذ مناسبة الصلة بين الاستعمالين الحقيقي والمجازي قائمة على إرادة المعنى المحدد دون التباس أو إيهام لتوافر القرينة الدالة على ذلك.[2]

وتتنوع مستويات هذه الدلالة عند اللغويين لتشمل:الدلالة ألأساسية أو المعجمية، الدلالة الصرفية، الدلالة نحوية، الدلالة السياقية الموقعية".[3]

المبحث الأول: دلالات مادة (ح ر ف) المعجمية

المطلب الأول – المعاني المعجمية لمادة (ح ر ف):

تنوعت دلالات هذه المادة عند أصحاب المعجمات على النحو الآتي:

الحرف من حروف الهجاء: قال الخليل في مادة (حرف) في كتاب العين: "وكل كلمة بنيت أداة عارية في الكلام لتفرقة المعاني تسمى حرفا، وإن كان بناؤها بحرفين أو أكثر مثل حتى وهل وبل ولعل"[4]. وقال ابن منظور في معجم لسان العرب: "الحرف من حروف الهجاء: معروف واحد حروف التهجي. والحرف: الأداة التي تسمى الرابطة لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل كعن وعلى ونحوهما" [5].

وجوه القراءة: اتفق اللغويون على هذا المعنى، وبيّنه الخليل ذلك بقوله: "وكل كلمة تقرأ على وجوه من القرآن تسمى حرفاً، يقال: يقرأ هذا الحرف في حرف ابن مسعود أي في قراءته" [6]، وأكد عليه ابن منظور بقوله: "القراءة التي تقرأ على أوجه، أراد بالحرف اللغة، وقال أبو عبيد وأبو العباس: نزل على سبع لغات من لغات العرب"[7].

التحريف: اعتمد الخليل – وغيره – في بيانه على الاستعمال القرآني حيث قال: "والتحريف في القرآن تغيير الكلمة عن معناها

وهي قريبة الشبه، كما كانت اليهود تغير معاني التوراة بالأشباه، فوصفهم الله بفعلهم فقال: يحرفون الكلم عن مواضعه".[8]

الميل: "وتحرف فلان عن فلان وانحرف، واحرورف واحد، أي: مال. والانسان يكون على حرف من أمره كأنه ينتظر ويتوقع فإن رأى من ناحية ما يحب؟ وإلا مال إلى غيرها"[9]، وهذا قول الخليل، وتابعه ابن دريد بقوله: "فلان على حرف من هذا الأمر أي منحرف عنه مائل، وانحرفت عن الشيء انحرافا إذا ملت عنه". [10]

الشك: قال ابن منظور "وفي التنزيل العزيز: ومن الناس من يعبد الله على حرف؛ أي إذا لم ير ما يحب انقلب على وجهه، قيل: هو أن يعبده على السراء دون الضراء. وقال الزجاج: على حرف أي على شك ".[11]

الجانب: "حرف السفينة: جانبها"[12]، كما بينها ابن عبّاد في كتابه المحيط قي اللغة.

الناقة: "الناقة الصلبة تشبه بحرف الجبل"[13]. وقال الزمخشري: "وناقة حرف: شبيهة بحرف السيف في هزالها، أو مضائها في السير".[14]

الحَب: "والحرف: حب كالخردل، والحبة منه حرفة"[15].

والمحارفة: "المقايسة بالمحراف، وهو الميل تسبر به الجراحات"[16]. كما هو عند ابن فارس.

الكسب: "فلان يحرف لعياله، يكسب".[17]

المحروم: وقد تبين هذا المعنى في المعجمات بعدة تعابير، قال الخليل: "والمحارف المحروم المدبر"[18]، وقال ابن دريد: "من هَذَا يقال: قد حورف كَسبه فميل به عنهُ أَي ضيق عليه"[19]، وعبر عنه ابن منظور بقوله: " وهو المحروم الذي ليس له في الإسلام سهم"[20]، وقوله: "والحرف الاسم من قولك رجل محارف أي منقوص الحظ لاينمو له مال"[21].

الحرفة: "المكسب أو الطعمة حرفة فلان من كذا وكذا أي مكسبه منه"[22].

ولدى دراسة تلك المعاني لجمعها تحت أصل اوأكثر، يتبين قول ابن فارس في المقاييس: (حَرَفَ) الحاء الراء والفاء ثلاثة أصول: حد الشيء، والعدول، وتقدير الشيء.

الأصل الأول – حد الشيء: هو حرف كل شيء حده، كالسيف وغيره. ومنه الحرف، وهو الوجه. تقول: هو من أمره على حرف واحد، أي طريقة واحدة. قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ ﴾ الحج11. أي على وجه واحد. وذلك أن العبد يجب عليه طاعة ربه تعالى عند السراء والضراء، فإذا أطاعه عند السراء وعصاه عند الضراء فقد عبده على حرف. ألا تراه قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ ﴾ الحج11.

الأصل الثاني – الانحراف عن الشيء: يقال انحرف عنه ينحرف انحرافا. وحرفته أنا عنه، أي عدلت به عنه. ولذلك يقال محارف، وذلك إذا حورف كسبه فميل به عنه، وذلك كتحريف الكلام، وهو عدله عن جهته. قال الله تعالى: ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ النساء 46.

والأصل الثالث – المحراف: حديدة يقدر بها الجراحات عند العلاج.[23]

ثم بين المعاني المشتقة من "المحراف" بقوله: "وزعم ناس أن المحارف من هذا، كأنه قدر عليه رزقه كما تقدر الجراحة بالمحراف، ومن هذا الباب فلان يحرف لعياله، أي يكسب. وأجود من هذا أن يقال فيه إن الفاء مبدلة من ثاء، وهو من حرث أي كسب وجمع. وربما قالوا أحرف فلان إحرافا، إذا نما ماله وصلح، وفلان حريف فلان أي معامله، وكل ذلك من حرف واحترف أي كسب. والأصل ما ذكرناه" [24].

بالتأمل في الأصول الثلاثة، والتساؤل هل ترجع لأصل واحد؟ ثم القيام بعملية البحث في المعجمات للوقوف على الجواب، فإنا لم نقف على قول يرجعها لأصل واحد، ولكن بالاجتهاد والتأمل يبدو أن الأصل فيها أنّ الحرف حدّ الشيء وحافته، وأمّا الميل فهو انحرافه عن حدّه، والمحراف هي الآلة التي لها حواف وحدود ويستعان بها في الجراحات، وهي تميل بحسب حدود الجراحة، فلا تكلف فيما يبدو بين هذه الأصول _ والله أعلم _ فالميل يجمع هذه المعاني اللغوية من شتاتها، وقد اشتهر عند العلماء توسعة ابن فارس وتكلفه في أصول الكلمات في كثير من الأحيان.

المطلب الثاني – تقاليب المادة:

بين الخليل تقاليب اللفظ، وتبعه ابن دريد، والأزهري، وابن منظور، والزبيدي: في باب الحاء والراء والفاء أنّ المستعمل من تقاليبها (ح ر ف، ح ف ر، ف ر ح، ر ف ح).

التقليب الأول: حرف.وسبق ذكره

التقليب الثاني: حفر

يقول ابن فارس:"الحاء والفاء والراء أصلان: أحدهما حفر الشيء، وهو قلعه سفلاً، والآخر أول الأمر".[25]

الحفيرة: "الحفرة في الأرض، والحفر اسم المكان الذي حفر كخندق أو بئر، قال: قالوا انتهينا وهذا الخندق الحفر، والبئر إذا كانت فوق قدرها سميت حفرا (وحفيرا وحفيرة).

الأول: وفي الحديث: (إن هذا الأمر لا يترك على حاله حتى يرد على حافرته)[26]، أي على أول تأسيسه. وقوله تعالى: ﴿ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ النازعات 10، أي في الخلق الأول بعد ما نموت كما كنا.

اللزق: والحفر لغة: ما يلزق بالأسنان من ظاهر وباطن، تقول: حفرت أسنانه حفراً، ولغة أخرى: حفرت تحفر حفرا.

والحفر والحفير: موضعان بين مكة والبصرة.

حافر الفرس وغيره: سمي حافراً لأنه يؤثر في الأرض.

والحفرى: ضرب من النبات.

الحفراة: نبت من نبات الربيع. والحفراة: خشبة ذات أصابع تذرى بها الكدوس المدوسة، وينقى بها البر بلغة ناس من أهل اليمن".[27]

التقليب الثالث: فرح

قال ابن فارس: "الفاء والراء والحاء أصلان، يدل أحدهما على خلاف الحزن، والآخر الإثقال".[28]

ثقل الدين: قال الأزهري في تهذيب اللغة " قال الليث رجل مفرح قد أثقله الدين، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ولا يترك في الإسلام مفرح)، [29] قال أبو عبيد المفرح: الذي قد أفرحه الدين أي أثقله، ولا يجد قضاءه. قال وأنشدنا أبو عبيدة: إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانة وتحمل أخرى أفرحتك الودائع[31] "[30]

السرور: "ورجل فرحان وفرح من الفرح، وامرأة فرحة وفرحى مثل عطشى، وتقول: ما يسرني به مفرح ومفروح. فالمفروح: الشيء أنا أفرح به، والمفرح: الشيء الذي يفرحني".[32] "والفرح: ضد الْحزن. وَيُقَال: فَرح يفرح فَرحا فَهُوَ فَرح وفرحان وفارح من قوم فراحى وفرحين، والفرحة: المسرة. وَمن أمثالهم: الترحة تعقب الفرحة".[33]

التقليب الرابع: رفح

ذكر الخليل أنه مستعمل، لكن لم يُورد له توضيحاً في معجمه، وقد ذكره الأزهري في معجمه (تهذيب اللغة) حيث قال في بيان معنى (رفح): " قال أبو حاتم: من [قرون] البقر الأرفح، وهو الذي يذهب قرناه قبل أذنيه في تباعد ما بينهما، قال: والأرفى الذي تأتي أذناه على قرنيه."[34]

وذكر كلام الأزهري ابن منظور في معجمه (لسان العرب) وزاد عليه بقوله: "وفي الحديث: كان إذا رفح إنسانا قال: بارك الله عليك، أراد رفأ، أي دعا له بالرفاء، فأبدل الهمزة حاء، وبعضهم يقول: رقح، بالقاف. وفي حديث عمر، رضي الله عنه، لما تزوج أم كلثوم بنت علي، رضي الله عنهما، قال: رفحوني؛ أي قولوا لي ما يقال للمتزوج؛ ذكره ابن الأثير في ترجمة رفح، بالفاء. "[35] وذكره الزبيدي في معجمه تاج العروس.[36]

دراسة التقاليب:

السؤال المطروح ماهي العلاقة بين هذه التقاليب؟ وهل يجمعها شيء ما؟

لدى دراسة التقاليب والتامل بها، تبين أنه يجمعها أصل دلالة (حرف) وهو "المَيل" عن الحافة أو الطرف أو وجه الشيء، ويكون المعنى كما يلي:

(حفر): فيه ميل على الأرض وتأثير بالأرض، وهي دلالة حسية. وفيه عود الأمر إلى أول تأسيسه، وهي دلالة معنوية.

(فرح): فيه ميل عن الحزن نحو السرور، وفيه ميل بتأثير ثقل الدين، وهي دلالة معنوية.

(رفح): فيه ميل قرون البقر نحو أذنيه، وهي دلالة حسية، وفيه تهنئة المتزوج التي تميل به نحو الاستقرار والبناء والفرح، وهي دلالة معنوية.

المطلب الثالث – التطور الدلالي للمادة:

"التطور الدلالي: هو تغيير معاني الكلمات، وإطلاق لفظ التطور على هذه الحالة لأنه انتقال بالكلمة من طور إلى طور".[37]

بيّن الفراهيدي في معجمه "العين" – كما سبق بيانه – دلالة مادة (ح ر ف) باتجاهين، الأول حسي، والثاني معنوي، الدلالة

الحسية كمعنى الحرف الهجائي، وحرف الشيء، مثل السفينة أو الناقة، ومحراب الجراحات، أما الدلالة المعنوية فهو ميل الإنسان وتحرفه من موقف لآخر، ثم تبعته معظم المعاجم في الدلالتين الحسية والمعنوية، إلى أن تطورت الدلالة عند الزمخشري إلى معنى مجازي، وهو تطور من المحسوس إلى المجرد الذهني، إذ صار يدل على المكافأة حيث قال: "حارفت فلاناً بفعله: كافأته، ولا تحارف أخاك بالسوء: لا تكافئه واصفح عنه ". (38)

وكذلك تطورت الدلالة بالانتقال إلى مجال آخر، حيث ورد في المعجم الوسيط: "(المنحرف) (في الرياضة) شكل رباعي لَا يُوجد بِهِ ضلعان متوازيان (وَشبه المنحرف) شكل رباعي يُوجد بِهِ ضلعان متوازيان"(39)، فبعد أن كان يطلق على المجالات المعنوية من انحراف الاتجاه أو تحريف الكلام، وما شابه، انتقل إلى مجال الرياضيات والأشكال المحسوسة، فالمنحرف شكل رباعي أضلاعه الأربعة مائلة عن بعضها، دون علاقة بينها، أما شبه المنحرف ففيه ضلعان مائلان، وآخران متوازيان، ولا شكّ أنّ هذه الأضلاع لها حدود وحواف وزوايا تنحرف عنها، بما يثبت بما لا شكّ فيه أنّ اللفظة أو المادة اللغوية مهما تطور استعمالها فلا بدّ أن تبقى نواتها الأصيلة موجودة فيها، لكنّ السياق المعجمي أو المجتمعي يعطيها تشكيلاً جديداً من نفس النواة الأولى لها.

المبحث الثاني: دلالة مادة (حرف) في الاستعمال القرآني

المطلب الأول – صيغ ورود مادة (حرف) في القرآن الكريم:

وردت مادة حرف في القرآن الكريم بأربع صيغ (يحرفون، يحرفونه، متحرفاً، حرف)، بعدد إجمالي ست اشتقاقات على النحو الآتي:

صيغة) يحرفون) وردت ثلاث مرات:

1- في الآية 46 من سورة النساء:

﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (46)﴾

2- في الآية 13 من سورة المائدة:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (13)﴾

3- في الآية 41 من سورة المائدة:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيم (41)﴾

صيغة (يحرفونه) مرة واحدة في سورة البقرة الآية 75:

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) ﴾

ويلاحظ هنا مجيء هذه الصيغة في سور مدنية، وفي معاقد تناولت اليهود على وجه الخصوص، وفي وصف فعلتهم الشنيعة في تحريف كلام الله عن مواضعه.

صيغة (متحرفاً) مرة واحدة في سورة الأنفال الآية 16:

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (16) ﴾

صيغة (حرف) مرة واحدة في سورة الحج الآية 11:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11) ﴾

المطلب الثاني – الدلالات الصرفية والنحوية والصوتية للمادة

1- الدلالة الصرفية:

ينبني النظام الصرفي في اللغة العربية على ثلاث دعائم رئيسية، هي: أولها مجموعة من المعاني الصرفية التي يرجع بعضها

إلى تقسيم الكلم، وبعضها إلى تصريف الصيغ، ثانيها طائفة من المباني بعضها صيغ مجردة، وبعضها لواصق، وبعضها زوائد، وبعضها مباني أدوات، ثالثها طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية، وهي وجوه الارتباط بين المباني وطائفة من القيم الخلافية أو المقابلات.(40)

وقد رتبنا اشتقاقات الجذر (حرف) حسب ورودها في القرآن الكريم وفق مايلي: (يحرِّفون، يحرِّفونه، متحرِّفاً، حرف)

يحرِّفون: على وزن يفعِّلون، جاءت بصيغة الفعل المضارع في الحديث عن أهل الكتاب وتحريفهم، وهذا يدل على التجدد والاستمرار في التحريف في كل زمان ومكان، مما يدعو لاستحضار الصورة لأفعالهم القديمة التي حدّث عنها القرآن. وجاء الفعل مزيداً على وزن يفعِّل لدلالة المبالغة في فعلهم وتحريفهم، وعلى كثرة قيامهم به.

يحرِّفونه: مثل السابق، إلا أنه اتصل بهاء الغائب، التي وقع عليها الفعل باعتباره متعدي.

متحرِّفاً: هو مُتَحرِّف على وزن متفعِّل، اسم فاعل لفعل خماسي مزيد: تحرّف على وزن تفعّل. الدلالة هنا تدل على العدول من جانب إلى جانب، وعلى التكلف في الفعل، حيث قال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: "هو الزوال عن جهة الاستواء"(41)، وقال البغوي في معالم التنزيل: "أي منعطفاً يري من نفسه الانهزام ومقصده طلب العزة، وقال السيوطي في الدر المنثور: مستطرداً يريد الكرّة على المشركين".(42)

وقد جاءت المفردة بهذه الصيغة في سياق الحديث عن حرمة الفرار من الزحف، وهي تدل على تمكن الصفة من صاحبه، وتمكنها منه، وذلك بعدم رغبته من الفرار إلا استعداداً للقتال مرة أخرى.

حَرْف: على وزن فَعْل، وهو مصدر للفعل المجرد حرَفَ يحرِفُ.

يقول صاحب الدقائق: "اعلم أن المصدر مشتق من الفعل الماضي ومأخوذ منه، وليس هو بفعل محض، ولا اسم محض، إذ لو كان فعلاً محضاً لانتفى عنه التنوين، ولو كان اسماً محضاً لثني وجمع وأنث، وهو موحد في الأحوال كلها، وأول من سماه مصدراً ووسمه به الخليل بن أحمد، وسمي مصدراً لصدوره عن الفعل الماضي، ولأنه متوسط في الصرف مكان الصدر من الجسد"(43)، فيكون الحرف هنا حد الشيء للدلالة على حالة وهيئة عامة متكررة عبر العصور.

وقد انفردت سورة الحج بهذه الصيغة لانفرادها بهذا الوصف لذلك الشّاك بدينه، المتردد فيه.

2- الدلالة النحوية:

بين ابن جني دلالات النحو في الخصائص ضمن باب الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية، حيث قال: "اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معتد مراعىً مؤثر، إلا أنها في القوة والضعف على ثلاث مراتب: فأقواهن الدلالة اللفظية ثم تليها الصناعية ثم تليها المعنوية. ولنذكر من ذلك ما يصح به الغرض، فمنه جميع الأفعال. ففي كل واحد منها الأدلة الثلاثة، ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره، ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه، وإنما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنها وإن لم تكن لفظًا فإنها صورة يحملها اللفظ، ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتزم بها، فلما كانت كذلك لحقت بحكمه وجرت مجرى اللفظ المنطوق به فدخلا بذلك في باب المعلوم بالمشاهد، وأما المعنى فإنما دلالته لاحقة بعلوم الاستدلال، وليست في حيز الضروريات....."(44)

بناء على ذلك تطلب الدلالات النحوية للألفاظ المشتقة من لفظ (حرف) على النحو التالي:

1- يحرِّفون، يحرِّفونه: أفعال مضارعة مرفوعة متعدية، دلالة ألفاظها على مصدرها وهو التحريف، وهو التغيير والتبديل، ودلالة بنائها المضارعة تدل على الزمن الحاضر والمستقبل، وعلى الحدوث والتجدد، ودلالة معناها على فاعلها هو جمع غائب بدلالة ياء المضارعة في أول الفعل، والواو والنون في آخره، وهو نفسه في الفعلين في جميع مواضع الورود، أما المفعول به فقد ذكر صراحة في اللفظ الأول، وفي الثاني كان ضميراً متصلاً يدل على الغائب المفرد، وهو ذاته في مواضع الورود، وهو اليهود، إلا أنه في الآية 41 من المائدة يمكن أن يكون الفاعل أي منافق، كما أنه جاءت جملة يحرفون صفة ثانية لقوم آخرين أو حال، ويمكن أن تكون حالاً من الذين يسارعون في الكفر.(45)

2- متحرِّفاً: منصوب على الاستثناء من خلال التركيب الذي جاء به ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ ﴾، دلالة لفظه مصدره (الانحراف)، دلالة بنائه الحالية والآنية، أما دلالة معناه فهو كونه اسم فاعل دال على الانحراف وهو الميل، ودلالته الحدوث هنا، بينما الصفة المشبهة فدلالتها الثبوت، والحدوث فيها طارئ.(46)

3- حَرْف: اسم مجرور بحرف الجر (على)، معنى إفادة لمعنى الحد من الشيء، بعد حرف الاستعلاء.

3- الدلالة الصوتية:

حول الدلالة الصوتية للمعاني، يقول ابن جني في الخصائص: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها فيعدلونها بها، ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدّره، وأضعاف ما نستشعره، ومن ذلك قولهم خضم وقضم، فالخضم لأكل الرطب... والقضم لأكل اليابس "[47]

ويقول دراز عن أصوات القرآن الكريم: " فإذا ما اقتربت بأذنك قليلًا قليلًا، فطرقت سمعك جواهر حروفه خارجة من مخارجها الصحيحة، فاجأتك منه لذة أخرى في نظم تلك الحروف ورصفها وترتيب أوضاعها فيما بينها؛ هذا ينقر وذاك يصفر، وثالث يخمس ورابع يجهر، وآخر ينزلق عليه النفَس، وآخر يحتبس عنده النفس. وهلم جرا، فترى الجمال اللغوي ماثلًا أمامك في مجموعة مختلفة مؤتلفة " [48]

أما الخطابي فقد قال: " إن الكلام إنما يقوم بأشياء ثلاثة: (لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم)وإذا تأَملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه".[49]

وبناء على ما سبق فإن دارسة الدلالة الصوتية للمادة تتبين بما يلي:[50]

حرف: لفظ مكون من ثلاثة حروف، لها صفاتها الخاصة التي تضفي على اللفظ رونقاً مناسباً لمعناها، على النحو التالي:

1- الحاء حرف يخرج من وسط الحلق، وهو حرف مهموس رخو مستفل منفتح مصمت، وهو من أضعف الحروف.

2- الراء: حرف يخرج من طرف اللسان مع شيء من ظهره، مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا، وهو حرف مجهور، متوسط، مستفل، منفتح مذلق، قوي.

3- الفاء: وهو حرف يخرج من باطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا، وهو حرف مهموس رخو مستفل منفتح مذلق، وهو من أضعف الحروف.

والعبرة من تعداد هذه الصفات دراسة ذات اللفظ وزيادة الطلب في دلالاته من حيث أصوات حروفه، فكأن لفظ (حرف) يخرج من مخارج متباعدة ليدل على معنى البعد الذي ينتج عن الحرف أو التحريف أو الانحراف، صفاته أولها وآخره في ضعف وبينهما توسط، وكأن تلك الصفات الصوتية تدل على الضعف الذي يحيط بالمعنى، وكأن الهمس في الحرفين الأول والآخر يفيد الخفاء الذي يرافق الحرف في بعض معانيه، ثم إن الانتقال من حرف ضعيف هو الحاء، إلى حرف قوي هو الراء، ثم العودة لحرف ضعيف هو الفاء، يفيد الميل الذي يدل عليه المعنى، وكل ذلك يناسب حالة التردد عند ذلك الشاك، في سياق ذكر ذلك الصنف من الناس في سورة الحج.

(يحرّفون – يحرّفونه): إن الدلالة الصوتية لكلمة حرف تنطبق هنا، إلا أنه يزيد عليه بوجود ياء المضارعة، وتكرار الراء، والختم بالواو والنون، فالياء المتحركة تشكل موقعاً فريداً في النظام الصوتي العربي، "لاتساع مخرجها ولشبهها بالصوامت من حيث طبيعتها النطقية التي تتطلب نوعاً من الاحتكاك"[51]، وأما تكرار حرف الراء فيؤلف صورة مشحونة بالشدة غالباً [52]، وهذا يناسب حالة أولئك الذين يحرفون كلام الله من أهل الكتاب، في سياق ذكر صفاتهم في سور النساء والمائدة والبقرة.

(متحرّفاً): لفظ فيه تكرار حرف الراء – كسابقه – فيؤلف صورة مشحونة بالشدة غالباً، مع وجود حرفي الميم والتاء، الميم الذي يخرج من الشفتين وهو بيني مجهور مستفل منفتح، وحرف التاء المتقارب مع الميم، الشديد المهموس المستفل المنفتح، مما يشكل مزيجاً من الصفات المتماثلة والمتقاربة والمتباعدة مما يدلل على حالة الاضطراب عند عملية التحرّف، وهذا متناسب ومتناسق مع الموضع الذي ورد فيه اللفظ في سورة الأنفال.

المطلب الثالث: المفردات المقاربة لمادة (حرف) في القرآن:

من المعاني المقاربة: لتقاليب جذر (حرف) ألفاظ: بدل، ميل، غير.

- بدل: وردت بصيغ (بدل، فبدل، يبدلوا) في سور البقرة، الأعراف، والفتح، بمعنى يقارب معنى (يحرفون، يحرفونه)، معجمياً وفي السياق.

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ 59البقرة، ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ 162الأعراف، التبديل والتغيير يتقاربان، لكن أكثر ما يقال التبديل في شيء يجعل مكان آخر، والتغيير في حالة للشيء تغير كالماء الحار إذا جعل بارداً. [53]يعنى أنهم

أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار، فخالفوه إلى قول ليس معناه معنى ما أمروا به، ولم يمتثلوا أمر الله. وليس الغرض أنهم أمروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاءوا بلفظ آخر. لأنهم لو جاءوا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما أمروا به، لم يؤاخذوا به لو قالوا مكان حطة: نستغفرك ونتوب إليك. أو اللهم اعف عنا وما أشبه ذلك. وقيل: قالوا مكان حطة: حنطة.(54)

﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ.. (15) ﴾ الفتح، يريدون أن يبدلوا كلام الله: معناه أن يغيروا وعده لأهل الحديبية بغنيمة خيبر، وذلك أنه وعدهم أن يعوضهم من مغانم مكة خيبر، إذا قفلوا موادعين لا يصيبون منها شيئا، قاله مجاهد وقتادة، وعليه عامة أهل التأويل.(55)

وبالتأمل بين المادتين المتقاربتين (حرف، بدل) نجد أنه في المواضع التي استعملت فيها مادة (حرف) لا يمكن استبدالها بمادة (بدل) لأن بينهما فرق دقيق، وهو أن التبديل جعل شيء مكان آخر، بينما التحريف أو التحرف أو الحرف فهو الميل عن الشيء دون تركه كلية. والله أعلم.

- ميل: وردت بصيغ: (تميلوا ميلاً، فلا تميلوا كل الميل، فيميلون عليكم ميلة واحدة) جميعها في سورة النساء، اثنان منها دلالتها معنوية، والثالثة دلالتها حسية.

﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27) ﴾ النساء

يقول الزمخشري: "والله يريد أن يتوب عليكم أن تفعلوا ما تستوجبون به أن يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق، ولا ميل أعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات"(56)، ودلالة الميل هنا هو ميل وانحراف معنوي يتفق مع المعنى المعجمي الذي بينه الخليل في العين، ويجتمع مع الانحراف عن الشيء حسب مابينه ابن فارس في المقاييس.

و خير ما يبين ارتباط ذلك الميل بسياق أحكام الأسرة في سورة النساء هو قول صاحب الظلال: "وفي هذا الميدان الخاص الذي تواجهه الآيات السابقة: ميدان تنظيم الأسرة وتطهير المجتمع وتحديد الصورة النظيفة الوحيدة، التي يحب الله أن يلتقي عليها الرجال والنساء وتحريم ما عداها من الصور، وتبشيعها وتقبيحها في القلوب والعيون.. في هذا الميدان الخاص ما الذي يريده الله وما الذي يريده الذين يتبعون الشهوات؟

فأما ما يريده الله فقد بينته الآيات السابقة في السورة. وفيها إرادة التنظيم، وإرادة التطهير، وإرادة التيسير، وإرادة الخير بالجماعة المسلمة على كل حال، وأما ما يريده الذين يتبعون الشهوات فهو أن يطلقوا الغرائز من كل عقال: ديني، أو أخلاقي، أو اجتماعي..".(57)

﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (129)﴾ النساء

بين الزمخشري ذلك الميل بقوله: "قيل: فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضى منها، يعنى: أن اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه إن وقع منكم التفريط في العدل كله".(58)

وركز صاحب الظلال على جانب المعاملة في الميل، قال:" في قوله تعالى: ﴿..فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ.. (129)﴾: الميل في المعاملة الظاهرة، والميل الذي يحرم الأخرى حقوقها فلا تكون زوجة ولا تكون مطلقة.. ومعه الهتاف المؤثر العميق في النفوس المؤمنة والتجاوز عما ليس في طاقة الإنسان: ﴿... وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (129)﴾ النساء" (59).

يتبين مما سبق أن الميل المقصود في هذه الآية أيضاً هو الميل المعنوي، الذي يظهر من خلال السلوك، في علاقة الزوج بزوجاته. ويرتبط اللفظ بسياق الحديث عن أحكام الأسرة، في قضايا تتعلق بالزوجات، ويرتبط بالمقام من خلال ارتباطه بأحد المحاور الرئيسية لسورة النساء.

﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (102)﴾ النساء.

فيميلون عليكم: أي: يشدون عليكم شدة واحدة..(60) دلالة الميل المذكور هنا هي دلالة حسية، فهو الميل الحقيقي من العدو تجاه المسلمين.

أما دلالة الميل في سياق هذه الآية هو بيان رغبة في نفوس الكفار تجاه المؤمنين دائمة، والسنون تتوالى، والقرون تمر، فتؤكد هذه الحقيقة، التي وضعها الله في قلوب المجموعة المؤمنة الأولى. وهو يضع لها الخطط العامة للمعركة. كما يضع لها الخطة الحركية أحيانا، على أن هذا الحذر، وهذه التعبئة النفسية، وهذا الاستعداد بالسلاح المستمر، ليس من شأنه أن يوقع المسلمين في المشقة. فهم يأخذون منه بقدر الطاقة، كما بينه صاحب الظلال.[61]

دلالة الميل اللغوية في هذه الآية دلالة حسية حركية، تنبئ عن دلالة معنوية هي رغبة أعداء الإسلام في الميل على المسلمين في اي لحظة غفلة، وارتباطها بالسورة الكريمة هو تحذير المجتمع المسلم الذي يريد ان يحافظ على كيانه بكل مؤسساته وأفراده أن ينتبه لتلك الرغبة الكامنة في نفوس الأعداء للميل عليه والنيل منه، بكل أشكال الميل.

وبالتأمل بين المادتين المتقاربتين (حرف، ميل) نجد أنه في المواضع التي استعملت فيها مادة (حرف) لا يمكن استبدالها بمادة (ميل) لأن بينهما فرقاً دقيقاً، وهو أن (الميل) يحمل دلالة نفسية أكثر من (الحرف)، فتارة بيّنها في قلب الزوج، وتارة في قلب العدو سواء العدو المعنوي الذي يريد من المؤمنين اتباع الشهوات، وتارة من العدو المادي الذي يرغب من المؤمنين وضع سلاحه ليقوم بهجوم حركي، بينما مادة (حرف) وإن دلالتها المادية أعلى، وخاصة في ارتباطها بمادية اليهود حين تحريفهم لكلام الله. والله أعلم.

- غير: وردت بست صيغ (لا يغيّر، مغيّراً، يغيّروا، فليغيّرن، لم يتغيّر) في سور (الرعد، الأنفال، النساء، محمد)

﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (11)﴾ الرعد

وكما قال صاحب الظلال: "فهو يتعقبهم بالحفظة من أمره لمراقبة ما يحدثونه من تغيير بأنفسهم وأحوالهم فيرتب عليه الله تصرفه بهم. فإنه لا يغير نعمة أو بؤسى، ولا يغير عزا أو ذلة، ولا يغير مكانة أو مهانة... إلا أن يغير الناس من مشاعرهم وأعمالهم وواقع حياتهم، فيغير الله ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم. وإن كان الله يعلم ما سيكون منهم قبل أن يكون. ولكن ما يقع عليهم يترتب على ما يكون منهم، ويجيء لا حقا له في الزمان بالقياس إليهم".[62]

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (53) ﴾ الأنفال.

ذلِكَ: إشارة إلى ما حل بهم. بِأَنَّ اللَّهَ: بسبب أن الله. لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَها عَلى قَوْمٍ: مبدلاً إياها بالنقمة. حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ: يبدلوا ما بهم من الحال إلى حال أسوأ، كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول عليه السلام ومن تبعه منهم، والسعي في إراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها إلى غير ذلك مما أحدثوه بعد المبعث، وليس السبب عدم تغيير الله ما أنعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته على تغييره متى يغيروا حالهم.[63]

يتبين في الآيتين السابقتين أن مادة (غير) تحمل دلالة لغوية ترتبط بالأصل المعجمي لمادة (حرف) كما بينها الخليل، وقد جاءت تحمل دلالة معنوية، تبين سنة من سنن الله، وهي الارتباط بين مشيئة العبد ومشية الخالق.

﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً (119)﴾ النساء.

إن التغيير المذكور في الآية الكريمة هو تبديل وتحريف ليس لكلمات الله، وإنما لخلقه عز وجل، التحريف لكلمات الله كان بدافع نفسي فكري من بني إسرائيل، والتغيير لخلق الله في هذه الآية كان بدافع شهواني من الشيطان، ولذلك تم استخدام المفردة الدقيقة المناسبة لكل حالة.

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (15) ﴾ محمد

إن التغيير المذكور في هذه الآية سبقه نفي، وارتبط بأمر حسية هو نفي تغير طعام الجنة، من أجل تحفيز همة بعض الناس للعمل الصالح في الدنيا، وكما يقول صاحب الظلال: "هنالك ناس يصلح لتربيتهم، واستجاشة همتهم للعمل كما يصلح لجزائهم ويرضي نفوسهم أن يكون لهم أنهار من ماء غير آسن، أو أنهار من لبن لم يتغير طعمه، أو أنهار من عسل مصفى، أو أنهار من خمر لذة للشاربين. أو صنوف من كل الثمرات. مع مغفرة من ربهم تكفل لهم النجاة من النار والمتاع بالجنات.. فلهؤلاء ما يصلح لتربيتهم، وما يليق لجزائهم".[64]

وبالتأمل بين المادتين المتقاربتين (حرف، غير) نجد أنه يوجد فرق دقيق بينهما، وهو أن (التغيير) يحمل معنى تبديل كلي في ذات الشيء، وليس تبديل جزئي كما هو حال الحرف، وأن التحريف يكون بعد علم، أما التغيير فغالباً ما يكون بعد جهل وبنتيجة اتباع الشهوات، إلا أنه يأخذ مناحي إيجابية أحياناً. والله أعلم.

لذا نجد أن الله تعالى جعل المادة اللغوية في موضعها الذي لا يمكن استبدالها بمادة أخرى مهما تقاربت معها.

المبحث الثالث: الدلالات السياقية والمقامية لمادة (حرف) في القرآن الكريم

المطلب الأول – الدلالة السياقية ل(يحرّفون – يحرّفونه):

إن التحريف الذي بينه السياق بالآيات (46) من النساء، (13، 41) من المائدة، (75) من البقرة، هو ذات المعنى المعجمي، والمشتق من أحد أصول الكلمة، وهو الانحراف عن الشيء، أي الميل، أو الاشتقاق من الحرف وهو الكلمة والكتابة.

قال ابن عاشور: "و التحريف هو الميل بالشيء إلى الحرف وهو جانب الشيء وحافته، وهو هنا مستعمل في الميل عن سواء المعنى وصريحه إلى التأويل الباطل، كما يقال: تنكب عن الصراط، وعن الطريق، إذا أخطأ الصواب وصار إلى سوء الفهم أو التضليل، فهو على هذا تحريف مراد الله في التوراة إلى تأويلات باطلة، كما يفعل أهل الأهواء في تحريف معاني القرآن بالتأويلات الفاسدة."[65]

كما قال: "ويجوز أن يكون التحريف مشقا من الحرف وهو الكلمة والكتابة، فيكون مراداً به تغيير كلمات التوراة وتبديلها بكلمات أخرى لتوافق أهواء أهل الشهوات في تأييد ما هم عليه من فاسد الأعمال. والظاهر أن كلا الأمرين قد ارتكبه اليهود في كتابهم. وما ينقل عن ابن عباس أن التحريف فساد التأويل "[66].

ويتضح المعنى من خلال بعدين: الأول هو الوحدة الموضوعية للسورة أو السياق العام، والثاني من خلال الآية أو الآيات التي ترتبط بالمفردة.

البعد الأول – ارتباط الكلمة بالسورة:

1- ارتباط صيغة (يحرفونه) بسورة البقرة:

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) ﴾

سورة البقرة سورة مدنية، لها شخصيتها المميزة، وروحها الفريدة، فيها عدة محاور رئيسية، ويجمعها محور رئيسي واحد مزدوج، يترابط الخطان الرئيسيان فيه ترابطاً شديداً، وخير من يفصل في ذلك السياق هو صاحب الظلال بقوله: " هي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة، واستقبالهم لها، ومواجهتهم لرسولها- صلى الله عليه وسلم- وللجماعة المسلمة الناشئة على أساسها، وسائر ما يتعلق بهذا الموقف بما فيه تلك العلاقة القوية بين اليهود والمنافقين من جهة، وبين اليهود والمشركين من جهة أخرى.. وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض، بعد أن تعلن السورة نكول بني إسرائيل عن حملها، ونقضهم لعهد الله بخصوصها، وتجريدهم من شرف الانتساب الحقيقي لإبراهيم- عليه السلام- صاحب الحنيفية الأولى، وتبصير الجماعة المسلمة وتحذيرها من العثرات التي سببت تجريد بني إسرائيل من هذا الشرف العظيم، مع التنبيه الدائم إلى أن هذه الملابسات في عمومها هي الملابسات التي ظلت الدعوة الإسلامية وأصحابها يواجهونها- مع اختلاف يسير- على مر العصور وكر الدهور من أعدائها وأوليائها على السواء. مما يجعل هذه التوجيهات القرآنية هي دستور هذه الدعوة الخالد ويبث في هذه النصوص حياة تتجدد لمواجهة كل عصر وكل طور ويرفعها معالم للطريق أمام الأمة المسلمة تهتدي بها في طريقها الطويل الشاق، بين العداوات المتعددة المظاهر المتوحدة الطبيعة"..[67]

مفردة (يحرفونه) ترتبط بذلك المحور الرئيسي المزدوج ارتباطاً وثيقاً، تلخص علاقة بني اسرائيل بالدعوة الإسلامية وبالمسلمين حتى قيام الساعة، تبين عداءهم المستمر حتى قيام الساعة، ليس للمسلمين فقط وإنما لكلام الله أيضاً، وتبين أن ذلك العداء مبني على المعرفة والعلم والعقل والإصرار من خلال عبارة ﴿ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ التي تبين تخطيطهم الواعي لذلك التحريف، واشتراك حواسهم جميعاً بفعلتهم، (يسمعون، يعقلون، يعلمون).

ملاحظة: تفردت سورة البقرة بلفظ (يحرفونه) بالاتصال بهاء الضمير، بينما وردت المفردة في سورتي النساء والمائدة بلفظ (يحرفون)، ولعل السبب هو ضرورة المقام، ففي سورة البقرة الاتصال بهاء الضمير يعني ذكر المسند له صريحاً قبلها، وذلك في مقام الحديث عن بني اسرائيل وعدائهم المستمر المبني على التخطيط الواعي، فسبقته عبارة ﴿ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ لتعظيم فعلهم بإسناده لكلام الله، وذكر اسم الله صريحاً. بينما في سورتي النساء والمائدة كان المسند إليه هو الكلم، لاختلاف المقام.

2- ارتباط صيغة (يحرفون) بسورة النساء:

﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ.... (46)﴾

سورة النساء سورة مدنية، نرى فيها أنها تعمل بجد وجهد في محو ملامح المجتمع الجاهلي– الذي منه التقطت المجموعة المسلمة – ونبذ رواسبه وفي تكييف ملامح المجتمع المسلم، وتطهيره من رواسب الجاهلية فيه، وجلاء شخصيته الخاصة.

كما تعمل بجد وجهد في استجاشته للدفاع عن كينونته المميزة، وذلك ببيان طبيعة المنهج الذي منه انبثقت هذه الكينونة المميزة، والتعريف بأعدائه الراصدين له من حوله– من المشركين وأهل الكتاب وبخاصة اليهود– وأعدائه المتميعين فيه– من ضعاف الإيمان والمنافقين– وكشف وسائلهم وحبلهم ومكايدهم، وبيان فساد تصوراتهم ومناهجهم وطرائقهم. مع وضع الأنظمة والتشريعات التي تنظم هذا كله وتحدده، وتصبه في القالب التنفيذي المضبوط.[68]

كلمة (يحرفون) ترتبط مع أهداف السورة ببيان جهود أولئك اليهود الذين يسعون دائماً لنشر الفساد في المجتمع، ومقاومة الأنظمة والقوانين، ونشر المعصية.

3– ارتباط صيغة (يحرفون) بسورة المائدة:

إن أحد أهم محاور هذه السورة هو بناء التصور الاعتقادي وتوضيحه وتخليصه من أساطير الوثنية، وانحرافات أهل الكتاب وتحريفاتهم، إلى جانب تبصير الجماعة المسلمة بحقيقة ذاتها وحقيقة دورها، وطبيعة طريقها وما في هذا الطريق من مزالق وأشواك، وشباك يرصدها لها أعداؤها وأعداء هذا الدين، مع توضيح أحكام الشعائر التعبدية التي تطهر روح الفرد المسلم وروح الجماعة المسلمة وتربطها بربها، إلى جانب التشريعات الاجتماعية التي تنظم روابط مجتمعها والتشريعات الدولية التي تنظم علاقاتها بغيرها..[69]

وقد امتازت هذه السورة باتساع نطاق المجادلة مع النصارى، واختصار المجادلة مع اليهود، عما في سورة النساء، مما يدل على أن أمر اليهود أخذ في تراجع ووهن، وأن الاختلاط مع النصارى أصبح أشد منه من ذي قبل.[70]

1– ارتباط (يحرفون) في الآية 13 مع سورة المائدة:

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ.....(13)﴾

يبرز الارتباط بثلاثة أمور:

الأول: هو كشف الخلفيات النفسية لمحرفي الكلم من أهل الكتاب زمن موسى عليه السلام كما سبق بيانه عند بيان الدلالة الصرفية والسياقية، كما بينها الطبري حين ربط بين التحريف وبين قسوة قلوبهم، منزوعا منها الخير، مرفوعاً منها التوفيق؟

الثاني: هو استعراض مواقف أهل الكتاب من مواثيقهم واستعراض ما حل بهم من العقاب نتيجة نقضهم لهذه المواثيق لتكون هذه– من جانب– تذكرة للجماعة المسلمة ماثلة من بطون التاريخ، ومن واقع أهل الكتاب قبلهم، وليكشف الله– من جانب– عن سنته التي لا تتخلف ولا تحابي أحدا.

و الثالث: ليكشف عن حقيقة أهل الكتاب وحقيقة موقفهم وذلك لإبطال كيدهم في الصف المسلم وإحباط مناوراتهم ومؤامراتهم التي يلبسونها ثوب التمسك بدينهم وهم في الحقيقة قد نقضوا هذا الدين من قبل ونقضوا ما عاهدوا الله عليه..

2– ارتباط (يحرفون) في الآية 41 مع سورة المائدة:

﴿.... ۚ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ... (41)﴾

يبرز الارتباط قضية التحريف بمحور السورة من خلال ما بينه صاحب الظلال:

" إن الحكم والشريعة والتقاضي حسب مواثيق الله وعقوده وشرائعه، التي استحفظ عليها أصحاب الديانات السماوية واحدة بعد الأخرى، وكتبها على الرسل، وعلى من يتولون الأمر بعدهم ليسيروا على هداهم، وليس للأهواء المتقلبة، والمصالح التي لا ترجع الى أصل ثابت من شرع الله، والعرف الذي يصطلح عليه جيل أو أجيال. فإن اتباع الأهواء والمصالح والأعراف التي ليس لها أصل من الشرع تعد كالتحريف والتبديل"[71].

البعد الثاني – ارتباط المفردة بالآية:

لكن السياق الخاص بكل آية يضيف مفهوماً محدداً لذلك التحريف، من حيث الزمن، أو من حيث الفاعل، أو فيما يتعلق بالبعد النفسي، والاجتماعي.

1– من حيث الزمن:

1– ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ.....(46)﴾ النساء

2– ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ...(13)﴾ المائدة

3- ﴿.... ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ... (41)﴾ المائدة

4- ﴿.....ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75)﴾ البقرة

قال تعالى في الآية الأولى والثانية: (يحرفون الكلم عن مواضعه)، وفي الثالثة: (يحرفون الكلم من بعد مواضعه)، وذلك أن الكلام في الآيتين الأولى والثانية على أوائل اليهود الذين حرفوا التوراة، وفي الثالثة على اليهود الذين كانوا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، والذين حرفوها بعد أن وضعها الله مواضعه وعرفوها وعملوا بها زماناً[72]، فجاء في الثالثة بكلمة (بعد) لأنها قد تكون لما تأخر عن زمانه بأزمنة كثيرة، وبزمن واحد، وبكلمة (عن) لما جاوز الشيء إلى غيره ملاصقاً لزمنه "[73]

وفي الآية الرابعة:﴿.....ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) ﴾ البقرة، جاءت عبارة (من بعد) مع (ما عقلوه) وفيها بعدان: الأول تأخر الزمن.. الثاني عملهم بعد العلم، وقيامهم بالتحريف عن قصد.

وقال الآلوسي: "المعنى يميلون ويزيلون التوراة، أو كلام الرسول صلّى الله عليه وسلّم أو كليهما أو مطلق الكلم في قول عن المواضع التي وضع ذلك فيها إما لفظاً بإهماله، أو تغيير وضعه، وإما معنىً، بحمله على غير المراد وإجرائه في غير مورده، ومن هنا يعلم توجيه قوله تعالى: مِنْ بَعْدِ مَواضِعِهِ دون عن مواضعه، وقال عصام الملة: إن إدراج لفظ بَعْدِ للتنبيه على تنزيل الكلم منزلة هي أدنى مما وضعت فيه لأنه إبطال النافع بالضار لا بالنافع أو الأنفع، فكأن المحرف واقف في موضع هو أدنى من موضع الكلمة يحرفها إلى موضعه، ولا يخفى بعده"[74]

2- من حيث الفاعل:

في قوله تعالى: ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ....(46) ﴾ النساء، تناول المفسرون السياق فيما يخص (من)، أهي تبعيضية أم بيانية؟ وطرحوا احتمالين للمعنى بناء على ذلك:

جاء في تفسير الطبري في كتابه جامع البيان قوله: " القول في تأويل قوله: ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾، قال أبو جعفر: ولقوله جل ثناؤه: ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمِ﴾، وجهان من التأويل, أحدهما: أن يكون معناه: ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب، من الذين هادوا يحرفون الكلم، فيكون قوله:" ﴿ من الذين هادوا﴾ من صلة (الذين). وإلى هذا القول كانت عامة أهل العربية من أهل الكوفة يوجهون قول ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكلم ﴾[75]، والآخر منهما: أن يكون معناه: من الذين هادوا من يحرف الكلم عن مواضعه، فتكون"من" محذوفة من الكلام، اكتفاء بدلالة قوله: (من الذين هادوا)، عليها. وذلك أن"من (لو ذكرت في الكلام كانت بعضا ل(من)، فاكتفى بدلالة (من) وإلى هذا المعنى كانت عامة أهل العربية من أهل البصرة يوجهون تأويل قوله ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكلم ﴾، غير أنهم كانوا يقولون: المضمر في ذلك (القوم)، فأما نحويو الكوفة فينكرون أن يكون المضمر مع (من) إلا(من) أو ما أشبهها". [76]

وذات المعنى يوضحه الزمخشري في الكشاف إذ يقول: "مِنَ الَّذِينَ هادُوا بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب لأنهم يهود ونصارى.... ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ، على أن يُحَرِّفُونَ صفة مبتدأ محذوف تقديره: من الذين هادوا قوم يحرفون".[77]

وكذلك ابن عاشور يورد ذات الاحتمالين بأسلوب آخر فيقول: "ويجوز أن يكون هذا كلاما مستأنفا. ومن تبعيضية، وهي خبر لمبتدأ محذوف دلت عليه صفته وهي جملة يحرفون والتقدير: قوم يحرفون الكلم.وحذف المبتدأ في مثل هذا شائع في كلام العرب اجتزاء بالصفة عن الموصوف، وذلك إذا كان المبتدأ موصوفا بجملة أو ظرف، وكان بعض اسم مجرور بحرف من، وذلك الاسم مقدم على المبتدأ، وقد دل ضمير الجمع في قوله يحرفون أن هذا صنيع فريق منهم، وقد قيل: إن المراد به رفاعة بن زيد بن التابوت من اليهود، ولعل قائل هذا يعني أنه من جملة هؤلاء الفريق، إذ لا يجوز أن يكون المراد واحدا ويؤتى بضمير الجماعة، وليس المقام مقام إخفاء حتى يكون على حد قوله عليه السلام: «ما بال أقوام يشترطون» الخ. ويجوز أن يكون من الذين هادوا صفة للذين أوتوا نصيبا من الكتاب، وتكون من بيانية أي هم الذين هادوا، فتكون جملة يحرفون حالا من قوله: الذين هادوا. وعلى الوجهين فقد أثبتت لهم أوصاف التحريف والضلالة ومحبة ضلال المسلمين".[78]

الآية 75 من سورة البقرة ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) ﴾ بينت أن الفاعل هو فريق من اليهود فتكون (من) تبعيضية:

قال الرازي: "إن قلنا بأن المحرفين هم الذين كانوا في زمن موسى عليه السلام، فالأقرب أنهم حرفوا ما لا يتصل بأمر محمد صلى الله عليه وسلم. وأما إن قلنا: المحرفون هم الذين كانوا في زمن محمد عليه الصلاة والسلام فالأقرب أن المراد تحريف أمر محمد عليه الصلاة والسلام، وذلك إما أنهم حرفوا نعت الرسول وصفته أو لأنهم حرفوا الشرائع كما حرفوا آية الرجم وظاهر القرآن

لا يدل على أنهم أي شيء حرفوا.

أما قوله تعالى: من بعد ما عقلوه، فالمراد أنهم علموا بصحته وفساد ما خلقوه فكانوا معاندين مقدمين على ذلك بالعمد، فلأجل ذلك يجب أن يحمل الكلام على أنهم العلماء منهم وأنهم فعلوا ذلك لضرب من الأغراض على ما بينه الله تعالى من بعد في قوله تعالى: واشتروا به ثمنا قليلا [آل عمران: 187] وقال تعالى: يعرفونه كما يعرفون أبناءهم [البقرة: 146] [الأنعام: 20] ويجب أن يكون في عددهم قلة لأن الجمع العظيم لا يجوز عليهم كتمان ما يعتقدون لأنا إن جوزنا ذلك لم يعلم المحق من المبطل وإن كثر العدد".[79]

3- المجال النفسي:

في الآية 46 من سورة النساء: ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (46)﴾

يعرض صاحب الظلال السياق بقوله: "إنه التعجيب الأول – من سلسلة التعجيبات الكثيرة – من موقف أهل الكتاب– من اليهود – يوجه الخطاب فيه إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – أو إلى كل من يرى هذا الموقف العجيب المستنكر: كان التعجيب من أهل الكتاب – عامة – وكان المفهوم أن المعنيين هم يهود المدينة – ولكن السياق لا يكتفي بهذا المفهوم. بل يمضي فيعين اليهود. ثم يصف حالهم وتصرفاتهم وسوء أدبهم مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – في هذه الفترة التي يبدو أنها كانت في أوائل سنوات الهجرة، قبل أن تخضد شوكتهم في المدينة، لقد بلغ من التوائهم، وسوء أدبهم مع الله عز وجل: أن يحرفوا الكلام عن المقصود به. والأرجح أن ذلك يعني تأويلهم لعبارات التوراة بغير المقصود منها. وذلك كي ينفوا ما فيها من دلائل على الرسالة الأخيرة ومن أحكام كذلك وتشريعات يصدقها الكتاب الأخير وتدل وحدتها في الكتابين على المصدر الواحد وتبعاً لهذا على صحة رسالة النبي– صلى الله عليه وسلم."[80]

ثم ينبه المسلمين من الوقوع بمثل ذلك التحريف بقوله: " وتحريف الكلم عن المقصود به، ليوافق الأهواء، ظاهرة ملحوظة في كل رجال دين ينحرفون عن دينهم، ويتخذونه حرفة وصناعة، يوافقون بها أهواء ذوي السلطان في كل زمان وأهواء الجماهير التي تريد التفلت من الدين.. واليهود أبرع من يصنع ذلك. وإن كان في زماننا هذا من محترفي دين المسلمين من ينافسون– في هذه الخصلة– اليهود". [81]

كما يربط الطبري بين التحريف وبين قسوة قلوبهم من خلال سياق الآية 13 من سورة المائدة: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ....(13) ﴾

فيقول: "يقول عز ذكره: وجعلنا قلوب هؤلاء الذين نقضوا عهودنا من بني إسرائيل قاسية، منزوعا منها الخير، مرفوعاً منها التوفيق، فلا يؤمنون ولا يهتدون، فهم لنزع الله عز وجل التوفيق من قلوبهم والإيمان، يحرفون كلام ربهم الذي أنزله على نبيهم موسى صلى الله عليه وسلم، وهو التوراة، فيبدلونه، ويكتبون بأيديهم غير الذي أنزله الله جل وعز على نبيهم، ثم يقولون لجهال الناس: "هذا هو كلام الله الذي أنزله على نبيه موسى صلى الله عليه وسلم، والتوراة التي أوحاها إليه....."."[82]

وكذلك قد استنتج الرازي من سياق الآية أن ذلك التحريف هو من نتاج قسوة قلوبهم فقال: " ثم إنه تعالى ذكر بعض ما هو من نتائج تلك القسوة فقال يحرفون الكلم عن مواضعه وهذا التحريف يحتمل التأويل الباطل، ويحتمل تغيير اللفظ، ...."[83].

4- المجال الاجتماعي الديني:

إن الآية 41 من سورة المائدة: ﴿... وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ... (41)﴾ تحمل قضية الربط في موضوع التحريف بين صفات المنافقين وصفات اليهود، في بعد اجتماعي مهم.

لقد بين صاحب الظلال أن هذه الآية وإن نزلت في بني اسرائيل كما نقلت الروايات إلا أن فيها تحذيراً للمسلمين في كل وقت وحين أن يقعوا بمثل ما وقع به بنو اسرائيل.. فيقول: "وهكذا بلغ منهم العبث، وبلغ منهم الاستهتار، وبلغ منهم الالتواء أيضاً في التعامل مع الله والتعامل مع رسول الله– صلى الله عليه وسلم– هذا المبلغ.. وهي صورة تمثل أهل كل كتاب حين يطول عليهم الأمد، فتقسو قلوبهم وتبرد فيها حرارة العقيدة، وتنطفئ شعلتها ويصبح التفصي من هذه العقيدة وشرائعها وتكاليفها هو الهدف الذي يبحث له عن الوسائل ويبحث له عن «الفتاوى» لعلها تجد مخرجاً وحيلة..... ولعله لهذا كان الله – سبحانه – يقص قصة بني إسرائيل بهذا الإسهاب وهذا التفصيل، لتحذر منها «أجيال المسلمين» وينتبه الواعون منها لمزالق الطريق".[84]

المطلب الثاني – الدلالة السياقية لمفردة (متحرفاً):

البعد الأول – ارتباط صيغة (متحرفاً) بسورة الأنفال:

سورة الأنفال مدنية، لها سمات عدة عند سيد:

الأولى: هي الواقعية الجدية في منهج هذا الدين.. فهو حركة تواجه واقعا بشريا.. وتواجهه بوسائل مكافئة لوجوده الواقعي.. تواجهه بالدعوة والبيان لتصحيح المعتقدات والتصورات، وتواجهه بالقوة والجهاد لإزالة الأنظمة والسلطات القائمة عليها تلك التي تحول بين جمهرة الناس وبين التصحيح بالبيان للمعتقدات والتصورات وتخضعهم بالقهر والتضليل وتعبدهم لغير ربهم الجليل..

السمة الثانية: منهج هذا الدين.. هي الواقعية الحركية. فهو حركة ذات مراحل. كل مرحلة لها وسائل مكافئة لمقتضياتها وحاجاتها الواقعية. وكل مرحلة تسلم إلى المرحلة التي تليها.. فهو لا يقابل الواقع بنظريات مجردة. كما أنه لا يقابل مراحل هذا الواقع بوسائل متجمدة.

السمة الثالثة: هي أن هذه الحركة الدائبة، والوسائل المتجددة، لا تخرج هذا الدين عن قواعده المحددة، ولا عن أهدافه المرسومة.

السمة الرابعة: هي ذلك الضبط التشريعي للعلاقات بين المجتمع المسلم وسائر المجتمعات الأخرى.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ... (16) ﴾

يرتبط لفظ متحرفاً مع السورة من خلال اتساق ذلك اللفظ مع السمات الأربعة لها، وهي الواقعية والحركة والمرحلية المطلوبة لبناء وحماية المجتمع.(85)

البعد الثاني – ارتباط المفردة بالآية:

لقد ورد لفظ "متحرفاً "في سورة الأنفال ضمن سياق أضفى عليه الصبغة الإيجابية، بخلاف سياق لفظي (يحرفون، يحرفونه).﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ..... (16) ﴾ الأنفال

قال الرازي: "أن يكون متحرفاً للقتال، والمراد منه أن يخيل إلى عدوه أنه منهزم. ثم ينعطف عليه، وهو أحد أبواب خدع الحرب ومكايدها".(86)

وقال الزمخشري: "وفي قوله ومن يولهم يومئذ أمارة عليه إلا متحرفاً لقتال هو الكر بعد الفر، يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه، وهو باب من خدع الحرب ومكايدها".(87)

وقد بين الشعراوي الموقف الشمولي الذي يصوره السياق حيال التحرف، فقال: "إن الحق سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة لم يرتب الغضب منه إلا على من يولي الدبر هَرباً وفراراً من لقاء الأعداء، أما الذي يولي الدبر احتيالاً، ولإيهام العدو بأنه ينسحب وفي ذات اللحظة يعاود الكرّة على العدو مطوّقاً له، فهذا هو المقاتل الحق والصادق في إيمانه الذي يمكر بالعدو. وكذلك من يولي الدبر متحيزاً إلى فئة مؤمنة ليعاود معها الهجوم على الأعداء حتى لا تضيع منه حياته بلا ثمن، فهذا أيضاً من أعمل فكرة ليُنزل بالعدو الخسارة؛ لأن المؤمن يحرص دائما على أن يكون موته بمقابل، فإذا ما وعده الله بالجنة. ألا يقاتل هو ليصيب الأعداء بالهزيمة؟"(88)

المطلب الثالث – الدلالة السياقية لمفردة (حرف):

البعد الأول – ارتباط المفردة بسورة الحج:

يغلب على السورة موضوعات السور المكية، وجوها. وفي هذا يقول صاحب الظلال: " فموضوعات التوحيد والتخويف من الساعة، وإثبات البعث، وإنكار الشرك. ومشاهد القيامة، وآيات الله المبثوثة في صفحات الكون.. بارزة في السورة وإلى جوارها الموضوعات المدنية من الإذن بالقتال، وحماية الشعائر، والوعد بنصر الله لمن يقع عليه البغي وهو يرد العدوان، والأمر بالجهاد في سبيل الله.

والظلال الواضحة في جو السورة كلها هي ظلال القوة والشدة والعنف والرهبة. والتحذير والترهيب واستجاشة مشاعر التقوى والوجل والاستسلام".(89)

ومن هنا ترتبط مفرد ة حرف بجو السورة حيث تبين الشك والقلق واضطراب بعض الناس في دينهم، وتحذرهم من عاقبة ذلك، إن الصورة التي ترسمها مفردة حرف تتناسب مع جو الخطر الذي ترسمه السورة كلية.

البعد الثاني – ارتباط المفردة بالآية:

وردت مفردة حرف مرة واحدة في سورة الحج، في سياق الحديث عن عبادة الله، وعن المنافقين: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11)﴾

قال الطبري: "أعرابا كانوا يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، مهاجرين من باديتهم، فإن نالوا رخاء من عيش بعد الهجرة والدخول في الإسلام أقاموا على الإسلام، وإلا ارتدوا على أعقابهم، فقال الله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ... ﴾ على شك، ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾ وهو السعة من العيش وما يشبهه من أسباب الدنيا اطمأن به يقول: استقر بالإسلام وثبت عليه ﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ﴾ وهو الضيق بالعيش وما يشبهه من أسباب الدنيا ﴿ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ يقول: ارتد فانقلب على وجهه الذي كان عليه من الكفر بالله".[90]

قال الآلوسي: "وقد وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلى حَرْفٍ شروع في حال المذبذبين أي ومنهم من يعبده تعالى كائنا على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون في طرف الجيش فإن أحس بظفر قر وإلا فر ففي الكلام استعارة تمثيلية، وقوله تعالى: فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ إلخ تفسير لذلك وبيان لوجه الشبه، والمراد من الخير الخير الدنيوي كالرخاء والعافية والولد أي إن أصابه ما يشتهي اطْمَأَنَّ بِهِ أي ثبت على ما كان عليه ظاهرا لا أنه اطمأن به اطمئنان المؤمنين الذين لا يزحزحهم عاصف ولا يثنيهم عاصف وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ أي شيء يفتن به من مكروه يعتريه في نفسه وأهله أو ماله انْقَلَبَ عَلى وَجْهِهِ أي مستوليا على الجهة التي يواجهها غير ملتفت يمينا وشمالا ولا مبال بما يستقبله من حرار وجبال"[91]

وقد أسهب الشعراوي في شرح تلك الآية من ناحية واقعية ونفسية، فقال في معنى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ....﴾: " والحرف: هو طرف الشيء، كأن تدخل فتجد الغرفة ممتلئة فتجلس على طرف في آخر الجالسين، وهذا عادةً لا يكون معه تمكُّن واطمئنان، كذلك مَنْ يعبد الله على حرف يعني: لم يتمكَّن الإيمان من قلبه، وسرعان ما يُخرِجه الابتلاء عن الإيمان، لأنه عبد الله عبادةً غير متمكنة باليقين الذي يصدر عن المؤمن بإله حكيم فيما يُجريه على عبده. والآية لم تترك شيئاً من هواجس النفس البشرية سواء في الخير أو في الشر".[92]

ويلاحظ في هذه الآية: ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ أي أنه لم يقابل الخير بالشر، إنما سماها (فتْنَة) أي: اختبار وابتلاء؛ لأنه قد ينجح في هذا الاختبار فلا يكون شراً في حَقِّه.

ومعنى: ﴿ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ يعني: عكس الأمر، فبعد أنْ كان عابداً طائعاً انقلب إلى الضِّدِّ فصار عاصياً {خَسِرَ الدنيا والأخرة..} وخسْران الإنسان لعبادته خسران كبيرٌ لا يُجْبَر ولا يُعوِّضه شيء؛ لذلك يقول بعدها: ﴿ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ فهل هناك خُسْران مبين، وخسران غير مبين؟

نعم: الخسران هو الخسارة التي تُعوَّض، أما الخسارة التي لا عِوضَ لها فهذه هي الخسران المبين الذي يلازم الإنسان ولا ينفكُّ عنه، وهو خُسْران لا يقتصر على الدنيا فقط فيمكن أنْ تُعوِّضه أو تصبر عليه، إنما يمتد للآخرة حيث لا عِوضَ لخسارتها ولا صَبْر على شِدَّتها. فالخسران المبين أي: المحيط الذي يُطوِّق صاحبه.[93]

الخاتمة

بين البحث أهمية علم الدلالة اللغوية بين علوم الآلة في فهم دلالة النص القرآني، كما تبين عمق دلالة المفردة القرآنية في القرآن الكريم، واتساع دلالة السياق في توضيح المعنى، وكانت خلاصة البحث مايلي:

1- تبين أن الدلالات اللغوية للمادة أنها جاءت على عدة معاني، ويجمعها أصل هو (الميل عن حد الشيء).
   - تحريف كلام الله، إما بتغيير الحروف، أو المعاني، أو تبديل أحكام الله.
   - عبادة الله على وجه واحد، وعلى طرف من الدين.
   - الانحراف في المعركة لجانب، لزوم الكر بعد الفر.
2- بينت دراسة دلالات تقاليب المفردة، أن التقاليب الأربعة مستعملة (حرف، فرح، رفح، حفر) وأن لكل منها دلالته المحددة، إلا انه يجمعها أصل واحد هو (الميل).
3- جرى تطور دلالي للمادة مثل كثير من الكلمات من معان حسية إلى معنوية مجازية.
4- إن مادة (حرف) وردت في القرآن الكريم بأربع صيغ هي (يحرفون، يحرفونه، متحرفاً، حرف) بعدد إجمالي ست اشتقاقات.
5- بينت الدلالة الصرفية مايلي:

- المبالغة والتكثير والاستمرار والدوام في قيام اليهود بتحريف كلام الله
- العدول في القتال
- صيغة المصدر (حرف) دلت على الدوام والاستمرار عبر الزمن في قيام بعض الناس بعبادة الله على وجه.

6- الدلالة النحوية بينت مايلي:
- الأفعال المضارعة في التحريف تدل على حدوث وتجدد عملية التحريف.
- التحرف في القتال ممكن أن يكون صفة وممكن أن يكون حالاً.

7- الدلالة الصوتية لمادة (حرف)، وضحت الضعف الذي يحيط بها، والميل الذي يشير له تباعد الحروف، والشحن بالشدة بدلالة تكرار الراء عند (يحرّفونه، يحرّفون، متحرّفاً)

8- المفردات المقاربة ل(حرف) هي (بدل، ميل، غير)، وبينت الدراسة أنه لايمكن استبدال كلمة حرف بأحدها لوجود معنى دقيق يفصل بينها.

9- الدلالة السياقية بينت مايلي:
- مفردة (يحرفونه) في سياقها ضمن سورة البقرة ترتبط بشخصية السورة، التي تلخص علاقة بني اسرائيل بالدعوة حتى قيام الساعة، وتبين أن ذلك التحريف عن علم وعقل وتخطيط.
- مفردة (يحرفون) في سياقها ضمن سورة النساء ترتبط بشخصية السورة ببيان جهود اليهود الذين يسعون لنشر الفساد في المجتمع.
- مفردة (يحرفون) في سياقها ضمن سورة المائدة ترتبط بشخصية السورة بكشف الخلفيات النفسية لمحرفي الكلم، وناقضي العهود.
- مفردة (متحرفاً) ترتبط مع شخصية سورة الأنفال بسماتها الأربعة، الواقعية والحركة والمرحلية المطلوبة لبناء وحماية المجتمع.
- مفردة على حرف في سورة الحج دلت على القلق والاضطراب الذي يناسب جو السورة
- وردت المادة في مقام الذم في سور (البقرة، المائدة، النساء، الحج)، وجاءت بمقام المدح في الأنفال.

وأخيراً فلله الحمد الذي كرّم العربية باختيارها وعاءً لكلامه، ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فصلت3.

الهوامش

(1) ابن فارس، أحمد، ت395، مقاييس اللغة، تحقيق، هارون، عبد السلام، دمشق، دار الفكر، 1979، ج2، ص259-260
(2) انظر: بركة، بسام، اللغة والفكر بين علم النفس وعلم اللسانية (بحث)، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 18-19
(3) ينظر:الداية، فايز، علم الدلالة العربي، بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، 1996، ط1، ص 20
(4) الفراهيدي، الخليل، كتاب العين، القاهرة، تحقيق السامرائي، ابراهيم، دار الهلال، ج3، ص 210.
(5) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط3، ج9، ص41
(6) الفراهيدي، كتاب العين، ج3، ص 212.
(7) ابن منظور، مرجع سابق، ج9، ص41
(8) الفراهيدي، كتاب العين، ج3، ص 212.
(9) الفراهيدي، كتاب العين، ج3، ص 212.
(10) ابن دريد، محمد بن الحسن، الجمهرة، تحقيق: بعلبكي منير، دار العلم للملايين، 1987، ج1، ص 517
(11) ابن منظور، مرجع سابق، ج9، ص42
(12) ابن عباد، الصاحب اسماعيل، المحيط في اللغة،
(13)الفراهيدي، العين، ج3، ص 212.
(14)الزمخشري، محمود، أساس البلاغة، تحقيق: عيون السود، باسل، بيروت، دار الكتب العلمية، ص 183
(15) ابن فارس، أحمد، مجمل اللغة، تحقيق: سلطان، زهير، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1986، ص227

(16) ابن فارس، أحمد، ، ص227
(17) ابن فارس، المرجع السابق، نفس الصفحة.
(18) الفراهيدي، المرجع السابق، ص 212.
(19) ابن دريد، مرجع سابق، ص517
(20) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مرجع سابق 64.
(21) ابن منظور، المرجع السابق، ج9، ص44
(22) ابن دريد، لجمهرة، مرجع سابق، ج1، ص 517
(23) انظر: ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، المرجع السابق، ص 42
(24) ابن فارس، المقاييس، المرجع السابق، نفس الصفحة
(25) ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، المرجع السابق، ج2، ص84
(26) لم نجد له تخريجاً في كتب الحديث، ذكره الرازي في تفسير سورة النازعات، بدون إسناد أو تخريج، ومنه أخذت المعجمات المعنى.
(27) ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، المرجع السابق، ج2، ص84
(28) ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، المرجع السابق، ج4، ص499
(29) ابن حجر، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، السعودية، دار العاصمة، 1998، ج7، ص، 368حديث ضعيف.
(30) القائل: (بيهس العذري) كما في اللسان (فرح)، كما ورد في العين، ج3، 213.
(31) الأزهري، تهذيب اللغة، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001، ج5، ص15.
(32) الفراهيدي، المرجع السابق، ص213
(33) ابن دريد، الجمهرة، مرجع سابق، ص518.
(34) الأزهري، التهذيب، مرجع سابق، ج5، ص16.
(35) ابن منظور، مرجع سابق، ج2، ص451.
(36) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، بدون تاريخ، ج6، ص397
(37) المبارك، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية، دمشق، دار الفكر، ط2، 1964، ص 207
(38) الزمخشري، الأساس، مرجع سابق، ص183
(39)مصطفى، ابراهيم، وآخرون، مجمع اللغة العربية في القاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة
(40) انظر حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، السعودية، عالم الكتب، ط5، 2006، ص82
(41) القرطبي، أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: البردوني، أحمد، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964، ج7، ص 383
(42) الحربي، إيمان، دور السياق في تحديد صيغة "تفعّل" في القرآن الكريم، جامعة أم القرى، 2009، ص76
(43) أبو القاسم، محمد بن سعيد المؤدب، دقائق التصريف، دمشق، دار البشائر، ط1، 2004، ص 60، انظر:كشكول، نور، دراسة دلالية موضوعية. ص 16
(44) ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية للكتاب، ط4، ج3، ص 100
(45) ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984، ج5، ص 74
(46)العبادي، أحمد بن قاسم، رسالة في اسم الفاعل، تحقيق عواد، محمد حسن، عمان: دار الفرقان، 1983 ص 20.
(47) ابن جني، الخصائص، ج2، ص159
(48) دراز، عبد الله، دمشق، دار القلم للنشر والتوزيع، ط2005، ص 135الشاملة.
(49) انظر: الخطابي، أبو سليمان، بيان إعجاز القرآن، مصر: دار المعارف، 1976، ط3، ص27
(50) انظر: شكري، أحمد، وآخرون، المنير في أحكام التجويد، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط22، 2013، ص49 – 87
(51) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، نقلاً عن: السنجري، علاء، أسس المنهج الصوتي للبنية العربية، عرض وتقييم، دراسة في جامعة القادسية.
(52) انظر: بلقاسم، دفة، نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، دراسة دلالية، الجزائر: جامعة محمد خيضر، 2009
(53) الأصفهاني، الراغب، تحقيق:بسيوني، محمد، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط1، 1999، ص204
(54) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج1، ص142
(55) الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط، بيروت: دار الفكر، 1999، ج9، ص489
(56) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج1، ص501
(57) قطب، الظلال، مرجع سابق، ج2، ص630
(58) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج1، ص527

(59) قطب، الظلال، مرجع سابق، ج2، ص768
(60) الأندلسي، البحر المحيط، المرجع السابق، ج4، ص51
(61) انظر: قطب، الظلال، مرجع سابق، ج2، ص749
(62) قطب، الظلال، مرجع سابق، ج4، ص2050
(63) البيضاوي، ناصر الدين، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: المرعشلي، محمد، بيروت: دار إحياء التراث، 1997، ج3. ص 64
(64) قطب، الظلال، مرجع سابق، ج6، ص3277
(65) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج5، ص 74
(66)ابن عاشور، المرجع السابق، نفس الصفحة
(67) قطب، الظلال، مرجع اسابق ج1، ص28
(68) انظر: قطب، الظلال، مرجع سابق ج1، ص556
(69) قطب، الظلال، مرجع سابق ج2، ص825
(70) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج6، ص71
(71) قطب، الظلال، مرجع سابق ج2، ص887
(72) الكرماني، البرهان، ملاك التأويل، انظر السامرائي، التعبير القرآني، ص 188
(73) انظر السامرائي، التعبير القرآني، ص 188
(74) الآلوسي، شهاب الدين، روح المعاني، تحقيق: عطية، علي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994، ج3، ص306
(75) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، تحقيق: شاكر، أحمد، دمشق، مؤسسة الرسالة، 2000، ج8، ص431
(76) الطبري، جامع البيان، المرجع السابق، ص432
(77) الزمخشري، محمود، الكشاف، بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1986، ج1، ص516
(78) ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج5، ص 74
(79) الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، بيروت، دار إحياء التراث، ط3، 1999، ج11، ص325
(80) قطب، سيد، في ظلال القرآن، بيروت، القاهرة، دار الشروق، 2007، ط36، ج2، ص 675
(81) قطب، الظلال، المرجع السابق ج2، ص 675
(82) الطبري، جامع البيان، المرجع السابق، ج 10، ص 128-129
(83) الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، بيروت، دار إحياء التراث، ط3، 1999، ج11، ص325
(84) قطب، الظلال، المرجع السابق ج2، ص892
(85) انظر: قطب، الظلال، مرجع سابق ج3، ص1429
(86) الرازي، مفاتيح الغيب، مرجع سابق، ط3، 1999، ج15، ص465
(87) الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج2، ص206
(88) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، الخواطر، مطابع أخبار اليوم، 1979، ج8، ص 4612
(89) قطب، الظلال، مرجع سابق، ج4، ص2047
(90) الطبري، جامع البيان، المرجع السابق، ج 18، ص 575
(91) الآلوسي، روح المعاني، مرجع سابق، ج9، ص119
(92) الشعراوي، مرجع سابق، ج16، ص 9728
(93) انظر: الشعراوي، مرجع سابق، ج16، ص 9728

المصادر والمراجع

الأزهري، تهذيب اللغة، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2001
الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق:بسيوني، محمد، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط1، 1999
الآلوسي، شهاب الدين، روح المعاني، تحقيق: عطية، علي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1994
الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط، بيروت: دار الفكر، 1999.
بركة، بسام، اللغة والفكر بين علم النفس وعلم اللسانية (بحث). مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 18-19، 1982.

بلقاسم، دفة، نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، دراسة دلالية، الجزائر: جامعة محمد خيضر، 2009
ابن جني، الخصائص، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ط4، بدون تاريخ
البيضاوي، ناصر الدين، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: المرعشلي، محمد، بيروت: دار إحياء التراث، 1997
الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: الداية، رضوان، فايز، دمشق، دار الفكر، ط1، 2007
ابن حجر، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، السعودية، دار العاصمة، 1998.
الحربي، إيمان، دور السياق في تحديد صيغة "تفعّل" في القرآن الكريم، جامعة أم القرى، 2009
حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، السعودية، عالم الكتب، ط5، 2006
الخطابي، أبو سليمان، بيان إعجاز القرآن، مصر: دار المعارف، 1976.
الداية، فايز، علم الدلالة العربي، بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، 1996.
دراز، عبد الله، دمشق، دار القلم للنشر والتوزيع، ط2005
ابن دريد، محمد بن الحسن، الجمهرة، تحقيق: بعلبكي منير، دار العلم للملايين، 1987
الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، بيروت، دار إحياء التراث، ط3، 1999
الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، بدون تاريخ
الزمخشري، محمود، أساس البلاغة، تحقيق: عيون السود، باسل، بيروت، دار الكتب العلمية
السامرائي، فاضل، معاني الأبنية في العربية، عمان، دار عمار، ، بدون ت
السنجري، علاء، أسس المنهج الصوتي للبنية العربية، عرض وتقييم، جامعة القادسية. بدون ت
الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، الخواطر، مطابع أخبار اليوم، 1979
شكري، أحمد، وآخرون، المنير في أحكام التجويد، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ط22، 2013
الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: شاكر، احمد، عمان، مؤسسة الرسالة
ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984
العبادي، أحمد بن قاسم، رسالة في اسم الفاعل، تحقيق: عواد، محمد حسن، عمان: دار الفرقان، 1983
ابن فارس، أحمد، ت395، مقاييس اللغة، تحقيق، هارون، عبد السلام، دمشق، دار الفكر، 1979
الفراهيدي، الخليل، كتاب العين، القاهرة، تحقيق السامرائي، ابراهيم، دار الهلال
القرطبي، أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: البردوني، أحمد، اطفيش، ابراهيم، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964
قطب، سيد، في ظلال القرآن، بيروت، القاهرة، دار الشروق، ط36، 2007
كشكول، نور، دراسة دلالية موضوعية، لمادة الحكمة، رسالة ماجستير للجامعة الأردنية، 2015.
المبارك، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية، دمشق، دار الفكر، ط2، 1964
مصطفى، ابراهيم، وآخرون، مجمع اللغة العربية في القاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة، بدون ت
ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط3، بدون ت

The Semantical Indication of the Item (letter) in the Quran

*Alia Abdarrahman Al-Athem, Jihad Mohammed al- Nusairat**

Abstract

This study sheds light on the item (letter) as in Holy Quran as a linguistic material of various meanings, and a Quranic term worthy of research in linguistic and contextual significance. The study addresses the following question: What is the meaning of the article (letter) in the Holy Quran? The paper aims at tracing the material of (letter) according to its uses in the Holy Quran, and exposing of the connotations of the linguistic material, and the statement of contextual indications in the Quran. The study consists of an abstract and three chapters in addition to a conclusion. The first chapter deals with the indication of (letter) in the Dictionary. The second chapter handles its indication within the verses of Quran. The third chapter illustrates its Quranic clues. The research concludes that the use of the lexis in the verses is syntactical, grammatical and phonetically compatible with the context. Thus, it can't be replaced by another synonym no matter how close it is.

Keywords: The Term (Harf), Semantic Study, Text.

* Faculty of Sharia', University of Jordan. Received on 2/7/2017 and Accepted for Publication on 11/6/2018.